

المحاضرة السادسة (6)

تحليل النصوص الشعرية للنساء

الخنساء

هي تماضر بنت عمرو بن الحارث من قبيلة سليم من الشعراء المخضرمين، عاشت في الجاهلية وأدركت الإسلام وأسلمت ، وكانت وحيدة أبويها كائنى وكان لها أخ من أبيها وهو صخر وأخ شقيق وهو معاوية، ولها أربعة أبناء.

سُميت بالخنساء لخنس في أنفها حيث كانت امرأة جميلة، وُلدت في البادية بنجد ولذلك كثر خطابها، فخطبها دريد بن الصمة وهو فارس جشم وأحد شجعانها المشهرين و يُكنى بأبي قرّة، قال لها أبوها : يا خنساء أتاك فارس هوازن وسيد بني جشم دريد بن الصمة يخطبك، وهو من تعلمين، ودريد يسمع قولهما، فقالت : يا أبت أتراني تاركة بني عمي مثل عوالي الرماح وناكحة شيخ بني جشم هامة اليوم أو غد؟؟ فخرج إليه أبوها فقال : يا أبا قرّة، قد امتنعت ولعلها أن تجيب فيما بعد، فقال : قد سمعت قولكما وانصرف

مرت الخنساء بمرحلتين : مرحلة ما قبل الإسلام، ومرحلة ما بعد الإسلام، ولكل مرحلة حدث مهم في حياة الخنساء، فبعد الإسلام موت أبنائها الأربعة وسيأتي معنا ، وأما الحدث الذي كان قبل الإسلام فوفاة أخويها معاوية و صخر حيث توفي الأول في يوم حوزة الأول لخصام بينه وبين هشام بن حرملة أحد بني مرة.

أما صخر فأخذ على نفسه الثأر لأخيه فقام يغزو غطفان وبني مرة أخذاً بثأر أخيه، فاستطاع قتل دريد الذي قتل معاوية ولم يكتف بذلك بل أصر على أن ينكل بأسد حليفة غطفان.

وسار الجيش نحو بني أسد وفي يوم يعرف بيوم الأثل أو يوم كلاب
التحم الفريقان وأصيب صخراً وكانت هذه الإصابة سبب موته.
فكان هذا الحدث جرحاً في قلب الخنساء ظلّ ينزف حتى موتها، وهو
سبب تفجر قريحتها الشعرية، وسيلان لسانها بالقوافي، الذي هزت به
القلوب، وسحرت به النفوس، فأعجب به الشعراء، واهتم به النقاد،
فدرسوا صفاته، وخصائصه الفنية، وكيف لا يكون ذلك وهي من
الشعراء الذين أبداعوا في كلماتهم، وصدقوا في أحاسيسهم وما الشعر
إلا إظهار للشعور، وتعبير عما يدور في النفوس في شكل كلمات
وأبيات من القوافي، الصادق منها يبقى، والبليغ يدرس.

الحنن والألم

إن الحزن في قلوب البشر فطرة إنسانية، ومسحة بشرية، جعلها الله
في قلوب العباد، يتألمون بالفجائع ويشعرون باللوعة، ويتذوقون مرارة
المصاب.

الحزن شيء معنوي يسري إلى القلب، ويحل بالجوارح، فيعبر الناس
عنه بوسائل مختلفة وطرائق متعددة، للتنفيس عن كربابتهم، ولتخفيف
أحزانهم.

فالدموع إحدى هذه الوسائل التي يعبر بها الحزين عن حزنه، والمتألم
عن ألمه والمنكوب عن نكبته. إن الدمع الصادق، الذي به حرارة
المصاب، وملوحة الحزن، أول خطوة نحو الصبر والسلوان.

الخنساء والبكاء

أخبرنا التاريخ أن الخنساء رزئت في حياتها بموت أخويها معاوية
وصخر، وزوجها الثاني، لأبنائها الأربعة، وكان موت معاوية وصخر قد
فجرا قريحتها الشعرية وقد مر معنا فيما سبق شيء من ذلك.

فرثت أباها ببیت تقول فيه:
ابكي أبا عمرٍ بعينٍ غزيرة
قليل إذا نام الخلي هجودها

ورثت زوجها بقصيدة تعد من روائع شعرها، وقد مرت معنا فيما سبق

وأما رثائها لأبنائها فلم تزد على كلمات قالتها عندما جاءها نبأ مقتلهم
في معركة القادسية " الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم. "
والخنساء من الشعراء الذين عاشوا فترة الجاهلية والإسلام، وكان أكثر
أو جُلُّ شعرها في الجاهلية، وهذا يعني أن شعرها يحمل الخصائص
الفنية للشعر الجاهلي، فقد التزمت من حيث الشكل أسلوب القصيدة
العمودية ذات القافية الواحدة.

وأما استهلال القصيدة ومطلعها فالذي يظهر من ديوانها أنها خالفة
النسق الجاهلي، من حيث الوقوف على الأطلال، والبدء بالمقدمة
الغزلية، فهي في معظم قصائدها تبدأ بمخاطبة عينيها والحديث عن
البكاء، والدمع، والدهر في بعض الأحيان ، ثم الالتفات السريع من
البكاء والحزن ومخاطبة العين إلى الإشادة بمناقب المرثي ، وذكر
فضائله ومحامده ، فمن ذلك قولها:

يا عين مالك لا تبكين تسكابا
إذ راب دهر وكان الدهر ريبا

فابكي أخاك لأيتام وأرملة
وابكي أخاك إذا جاورت أجنباً

وابكي أخاك لخيّل كالقطا عصباً

فقدن لما ثوى سيبا وأنهابا

يعدو به سابح نهد مراكله

مجلبب بسواد الليل جلبابا

حتى يصبح أقواما يحاربهم

أو يسلبوا دون صف القوم أسلابا

هو الفتى الكامل الحامي حقيقته

مأوى الضريح إذا ما جاء منتابا

يهدي الرعيل إذا ضاق السبيل بهم

نهد التليل لصعب الأمر ركبّا

المجد حلتة والجود علتة

والصدق حوزته إن قرّنه هابا

خَطَّابُ مَخْفَلَةٍ فَرَّاجٍ مَظْلَمَةٍ

إن هاب معضلة سنّي لها بابا

حمّال ألوية قطاع أودية

ج شهادة أندية للوتر طلابا

سم العداءة وفكّك العناية إذا

لاقى الوغى لم يكن للموت هيبا

فلاحظ مطلع هذه القصيدة مخاطبة العين والحديث عن البكاء والدهر
وريبه ثم الالتفات السريع إلى المرثي للتحدث عن خصاله وفضائله
وصفاته.....

فهي بذلك تعد صورة للحادثة التي هجرت المطالع الطلية إلى مطالع
تتصل بموضوع الرثاء مباشرة."